برنامج وذَكّر

الدكتور محمد خير الشعال

(الحلقة الثامنة والعشرون)

((أدب الخصومة في الإسلام))

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، مرحبا بكم أيها الإخوة والأخوات في هذه الحلقة الجديدة من برنامج (وذكر).

حلقة اليوم دقيقة جداً ومهمة جداً عنوان الحلقة (أدب الخصومة في الإسلام) .

الإسلام دين مثالي وواقعي بآنٍ معاً، فالإسلام يدعونا إلى أن نتحابب ونتعاون ونتآزر ونتكاتف ونتناصح ونتسامح، لكن الإسلام يعلم بأن هناك خصومة ستقع بين الناس لا ريب، ستكون هناك شحناء بين العباد، سيكون خصام يحدث بين الشريكين، سيحدث خلل بين زوجين أو شريكين أو صديقين، هذه طبيعة الحياة.

فإذا حدث بينك وبين آخر خصومة، ما أدب الخصومة في الإسلام.

الإسلام علمنا آداب وضوابط لهذه الخصومة، فإذا حدث خصومة وشجار هذه طبيعة الحياة، نحن نتمنى أن لا يحدث، ولكن طبيعة الحياة أن تحدث الخصومات.

هنالك خمسة آداب ينبغي على كل واحد فينا إذا وقعت بينه وبين شريك أو أخ أو زوج خصومة أن يراعيها .

الأدب الأول: مراقبة الله أثناء الخصومة:

لأن الله تعالى مطلع الآن وستعاد الخصومة أمامه يوم القيامة، روى الإمام الترمذي عن الزبير رضي الله عنه قال: لما نزل قول الله تعالى ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ

تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: 31] قال الزبير: يا رسول الله أتكرر علينا الخصومة يوم القيامة بعد الذي كان بيننا في الدنيا؟ قال: ((نعم)) قال: إن الأمر إذاً لشديد [الترمذي].

فمهما أردت أن تقول في الخصومة فقل ومهما أردت أن تفعل فافعل ومهما أردت أن تكتب اكتب، لكن اعلم بأن كل ما تقوله يسمعه الله، وسيعاد يوم القيامة أمام حضرة الله تعالى بينك وبين خصمك، كل ما كتبته سيُقرأ عليك يوم القيامة بين يدي الله تعالى، إذا أردت أن تزور توقيعاً أثناء الخصومة، لكن نفس هذا التوقيع سيعرض على حضرة الله، ماذا ستقول هناك؟ إذا أردت أن تطرد زوجتك من البيت بعد خصومة بينك وبينها افعل لكن نفس هذا الفعل سيعرض على الله تعالى في الدنيا وفي الآخرة، ما عساك أن تفعل هناك، مهما خطر لكِ أن تشوهي سمعة زوجك افعلي، لكن اعلمي أن كل الذي فعلتيه سيعرض على الله، وأي موقف لك ذاك الموقف وقد ظلمت وأسأت وفعلت ما فعلت مع الرجل، كيف ستقابلين الله عز وجل؟

أورد الإمام السيوطي في تفسير: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ قال: يؤخذ للمظلوم من الظالم، وللملوك من المالك، وللضعيف من الشديد، وللجماء من القرناء، حتى يؤدى إلى كل ذي حق حقه.

الأدب الثاني: الاحتكام إلى الشرع:

لعلي اختصم معك وتختصم معي، من الحكم بيننا؟ هواي أو هواك، أم أننا سنحكم شرع الله هو يحكم بيننا، سنحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحكم بيني وبينك، مرة جاءني شابان أنا أضرب بهما مثلاً، شابان تاجران حصل بينهما خلاف وكانا شريكين، حصلت خصومة فأرادا الاحتكام، تدارسا بينهما قالا: إننا سنحكّم من يخبرنا بأمر الشرع، فجاءا إليّ، كل واحد منهما على انفراد قال لي: يا أستاذ أرجوك مهما يحكم

الشرع في أمر فأخبرني فأنا ماثل عند أمر الشرع، وقال الآخر: مهما حكم الشرع لي أو علي أنا ماثل لأمر الشرع، ولما اجتهدت في حكم الشرع في المسألة وقلت لهما: أنا سأخبركم في اجتهادي لفهمي بنصوص الشرع وأخبرتهما بالحكم وإذا بكل واحد منهما يوافق على هذا الحكم لا لشيء إلا لأنه اعتقد أن الشرع هو الذي حكم في هذه المسألة فنزل على أمر الشرع.

إن مثل هؤلاء الشباب يباهى بهم في الدنيا وفي الآخرة عندما يمتثلون أوامر الشرع، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ يحكموا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكموا القرآن الكريم ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65] أي أنهم يستسلمون استسلاماً مطلقاً لأوامر الشرع.

الأدب الثالث: الاعتدال في الخصومة:

إذا حدثت بينك وبين آخر خصومة اعتدل بها، دع للصلح موضعاً، لا تغرق في هذه الخصومة، أحبب حبيبك هوناً عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما، عجيب أمر بعض الناس يكون هو وزوجته في وفاق عشرين سنة قال خلاص اذهبي إلى بيت أبيك لا أريد أن أراك ولا أن تراني ولا أسمعك ولا تسمعيني ولا تحدثيني ولا أحدثك، طيب يا أخي لا تغرق في الخصومة لعلك تحتاج إلى هذا الذي خاصمته. أحياناً صاحب معمل تحدث خصومة بينه وبين شريك له وإذا به يريد أن يفك الشراكة وأن لا ينظر إلى الشريك ولا يحدثه وأن يمحو اسمه من دفاتره وأن لا يذكر أمامه مطلقاً، اعتدل في الخصومة، **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أبغض الرجال إلى الله الألدّ الخصِم))** [مسلم] أي شديد الخصومة، يخاصمك مخاصمة فيها جفاء شديد، وغلظة شديدة، والمسلم يخاصم نعم ولكنه يكون معتدلاً في الخصومة.

الأدب الرابع: لا تأخذ في الخصومة غير حقك ولو حكم لك به من حكم:

أحياناً أنت ترفع أمرك إلى القاضي وبسبب أن المحامي عندك قوي، وأن محامي الخصم ضعيف لعل القاضي يحكم لك بأزود من حقك، **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنكم تختصمون لديّ، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض))** أي هو صاحب منطق وصاحب كلمة وتعبير وحجة قوية **((فأقضي له على نحو ما اسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقتطع له قطعة من النار))** [البخاري ومسلم] لو حكم لك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في الخصومة بشيء ليس من حقك لا تأخذه، لا تأخذ في الخصومة غير حقك، قل: يا أخي هذا حقي أنا آخذه وهذه الزيادة ردوه لخصمي.

إذا حكم لك النبي صلى الله عليه وسلم لا تأخذ الزيادة فما بالك لو حكم لك شخص أو قاضٍ ..

الأدب الخامس: ضبط اللسان في الخصومة:

لأن هذا اللسان عجيب أمره، في أثناء الرضا ليّن سهل وطيّب لكن إذا حدثت الخصومة خذ من الإنسان غير المنضبط كلاماً عجيباً وطويلاً عريضاً **وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((أربعٌ من كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان))** الرابعة **((وإذا خاصم فجر))** هناك أناس إذا خاصموا انبعثوا في المعاصي، الإفك والكذب والكلام الفاحش يتكلم بكلام ما أنزل الله به من سلطان فما هذا شأن المؤمن ولا هذه شاكلته، إذا خاصم يبقى عفيف اللسان طاهره.

هذه حلقة اليوم من أدب الخصومة في الإسلام .

آداب الخصومة في الإسلام خمسة.

1- **مراقبة الله أثناء الخصومة.**

2- **الاحتكام إلى الشرع في الخصومة.**

3- **الاعتدال في الخصومة وعدم الإغراق بها.**

4- **لا تأخذ في الخصومة غير حقك.**

5- **اضبط لسانك في الخصومة.**

كلما التقيت بكم ازداد سروري والوقت يمضي معكم سريعاً، فماذا نفعل هذا هو الوقت سريع جداً، سعدت بلقياكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..